

السداسي الثاني : محاضرة 4 : **الحجاج في الثقافة العربية الاسلامية . ج 1**

يرى الدكتور إبراهيم مدكور في كتابه القيم : **الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق** , ان اول شرط لدراسة تاريخ الفلسفة الاسلامية هو مراعاة خصوصية ميادين هذه الفلسفة ويقصد بهذه الميادين : الفلسفة المشائية وخاصة عند الكندي والفارابي وابن سينا – علم الكلام – التصوف . ان هذه الميادين هي بمثابة نظم معرفية اذا استعرنا عبارة الجابري وبالتالي ففي كل نظام معرفي هناك آليات وتقنيات لإنتاج المعرفة والتأسيس لها اي ان لكل نظام معرفي منهجيته المعرفية الخاصة .

يمكن الانطلاق من هذه الملاحظة الهامة لتناول خصوصية الدرس الحجاجي في الثقافة العربية الاسلامية بمراعاة جميع ميادين هذه الثقافة و مستوياتها : الفلسفية (المشائية والكلامية والصوفية) واللغوية البلاغية والنحوية وحتى الفقهية .

1 - في البداية , لا يمكن الحديث عن الحجاج في الثقافة العربية الاسلامية دون التطرق الى مرحلة ما قبل الاسلام حيث كانت شخصية الخطيب والشاعر تحتل مكانة محورية في صناعة الرأي العام وتوجيهه . وهذا ما يفسر تلك العلاقة القوية والمتوترة أحيانا بين السياسة (القبيلة) وبين الشعر . حيث جسد الشعر نوعا من الخطاب التبريري الذي يتبنى وينشر ويدافع ويؤسس أحيانا لموقف القبيلة في السلم كما في الحرب , يمكن التطرق إلى (نموذج قصيدة لقيط بن يعمر بن خارجة الأيادي التي مطلعها : ابلغ ايدا واخل في سراتهم : او نموذج قصيدة الأعشى في موقعة ذي قار بين العرب والفرس) . وكتب التراث عامة تزرخ بنماذج تبين دور وقيمة الخطابة والشعر في الحياة الثقافية والعقلية قبل الإسلام .تكشف القراءة الحجاجية لهذه النماذج عن حضور تقنيات حجاجية خاصة مثل : ثلاثية **Ethos – Pathos – Logos** الارسطية حضور عنصر التخيل والاستمالة الوجدانية في التأثير في المتلقي (المدح والفخر والهجاء) - نماذج من الحكمة الشعرية السائرة التي تجسد مواضع عامة **Topic** يمكن أن تكون منطلقات استدلالية الخ - وقد بقي للخطابة والشعر تأثيرهما الواضح حتى بعد الاسلام (علي بن ابي طالب رضي الله عنه – الحجاج بن يوسف – قطري بن الفجاءة – ابو الطيب المتنبى الخ)

2 – مع ظهور الاسلام حدث تحول تاريخي و معرفي وسياسي في الحياة العربية . وكان الكتاب الجديد – القرآن الكريم – دعوة الى التأسيس العقلي للإيمان والرد على المعارضين والمخالفين (المشركون واهل الكتاب) والدفاع عن رؤية جديدة لمفاهيم الحياة الكبرى ' الانسان – الالهية – الخير – الشر – العالم الخ - في هذا السياق , هناك قراءات حجاجية متعددة للنص القرآني يمكن ان نذكر منها دراسة الدكتور محمود يعقوبي حول المنطق الفطري في القرآن او دراسة الباحث التونسي الراحل عبد الله صولة بعنوان : الحجاج في القرآن . في الكتاب الاول حاول الباحث حصر انواع الحجة القرآنية وتصنيفها مبرزاً حضور حجاج عقلي قرآني يتسم بصفة تحدي المخالفين بالاستناد الى مقولات : الفطرة – دحض آراء المخالفين ببيان تناقضاتها - . صور الحجة القرآنية الخ - تعرض القرآن لأنماط من الحجاج بين الإيمان والجحود تتسم بالتدرج و سلمية التأثير والإقناع ومراعاة المقام الحجاجي (قصة ابراهيم عليه السلام ومشركي قومه) .

- البلاغة القرآنية والتصوير الفني في النص القرآني كان لهما تأثير إقناعي في المتلقي باعتماد تقنيات (التشبيه وضرب الامثال والاعجاز البياني الخ) نماذج من الآيات القرآنية) .